

المحاضرة الأولى

مقاومة منطقة القبائل (ثورات: بومعزة، بوبغلة، لالا فاطمة نسومر

(١٨٤٩-١٨٥٧)

بعد القضاء على ثورة الزعاطشة شدت الأنظار الى منطقة القبائل التي ناقمة على العدو الذي لم يتم سيطرته بعد على كل مناطقها، وقد ووجهت قوات الاحتلال الفرنسي بمقاومة عنيفة قادها الشريف بومعزة وتلقى مشعلها الشريف بوبغلة، وواصلتها لالا فاطمة نسومر إلى غاية سنة ١٨٥٧ تاريخ إتمام احتلال منطقة زواوة، وقد سجل هؤلاء ملاحم جهادية حقيقية لكن كثيرا من جوانب بطولاتهم ما تزال مغمورة، وقد تدخلت الدعاية الفرنسية وكتابات الفرنسيين لتشويه جهادهم وتصفه بالصعلكة والفوضى... الخ، وعلى ضوء ما توافر لدينا من مصادر ومراجع نحاول استعراض مقاومة منطقة القبائل، وذلك بالتركيز على مقاومة بومعزة ومقاومة بوبغلة ولالا فاطمة نسومر

أولا . الأوضاع العامة بمنطقة القبائل:

شهدت بلاد زواوة بعد احتلال بجاية وضعاً اقتصادياً مريباً، وعانت من تعسف السياسة الفرنسية، وكان الوضع الاجتماعي ما يزال متماسكاً بفضل الزعامات القبلية، وتلك الزوايا التي كان لها نفوذ واسع ولا سيما زوايا الطريقة الرحمانية، كما كان للمرابطين الأشراف دور فعال في قيادة الرأي العام، وقد تضامن الكثير منهم مع الأمير عبد القادر، واعترضوا تقدم العدو نحو بلادهم خلال سنة ١٨٤٤ عندما حاول "بيجو" التوغل بقواته هناك، وإذا كانت الإدارة الفرنسية قد أجلت مشروع إتمام احتلال بلاد زواوة سنة ١٨٤٨ فإن عزميتها سنة ١٨٤٩ كانت قوية لإخضاع المنطقة وإتمام السيطرة على كامل الجزائر، ومن جهة أخرى أدى خروج الأمير عبد القادر من الجزائر سنة ١٨٤٧ إلى ترك فراغ سياسي كان لا بد من ملئه بزعامات أخرى، وقد قصد المجاهدون الحاملون لشعارات الشرف والجهاد والوطنية منطقة القبائل نظراً لخصوصية موقعها الجغرافي وعدم خضوعها للاحتلال، وتقبل سكانها لفكرة الجهاد

وقد تردد منذ سنة ١٨٤٩ على المنطقة عدد من الأشراف الذين كانوا يحملون أسماء مبهمه (محمد بن عبد الله) لأغراض عديدة: منها التبرك باسم النبي (ص) وإضفاء طابع الغموض على الشخص، وقد كتب لشخصين النجاح في قيادة الجهاد بمنطقة زواوة، وهما الشريف بومعزة والشريف بوبغلة .

ثانيا . ثورة الشريف بومعزة:

الشريف محمد الهاشمي (محمد بن عبد الله بوسيف) شخصية ما يزال يغمرها الظل، وإن كنا نعرف أنه قاوم في صفوف الأمير عبد القادر ورافق الشريف بومعزة الحقيقي في ثورة بفرنسا إلى أن قرر الهروب من السجن HAM الظهرة، وسجن رفقة في سجن "هام" ودخول الجزائر، وتلقبه باسم رفيقه بومعزة.

دخل الشريف محمد الهاشمي بلاد زواوة في أوائل سبتمبر ١٨٤٩ واختار هذه المنطقة بالذات لعدم خضوعها للسيطرة الفرنسية، ولمعرفته السابقة بها، إذ جاءها مبعوثا من قبل الأمير عبد القادر عدة مرات سنة ١٨٤٧، وكان على صلة بزعمائها ومنهم سي الجودي قائد بني صدفة والحاج البشير المغربي زعيم الزاوية الرحمانية، ولالا خديجة أرملة سي محمد بن عيسى شيخ زاوية ايت إسماعيل، وكذا لالا فاطمة نسومر التي خلفت والدها على زاوية .

وبعد اطلاعه على الأوضاع بالمنطقة وعلمه بالمحاولات الفاشلة التي قامت بها قبائل أحواز بجاية للسيطرة على المدينة (١٨٤٨ - ١٨٤٩) أجرى اتصالات بزعماء زواوة خاصة سي الجودي الذي سهل مهمته، وعزم على إعلان الجهاد ضد الفرنسيين وعملائهم،

وتعاون مع سي الجودي تعاوناً وثيقاً، إذ وفر له هذا الأخير الفرسان والحماية والدعاية اللازمة، وكلف ابنه بمرافقته، وخاض معه عدة معارك.

وقد واجه الشريف بومعزة الفرنسيين في اشتباكات عديدة، كبدهم فيها خسائر كبيرة، مما جعل الحماية الفرنسية بتيزي وزو تستنجد بالقوات المربطة بسور الغزلان، وقد تنامت إلى مسامع الجنود الفرنسيين أن للشريف بومعزة قوة خارقة وأن الرصاص لا يؤثر عليه فهبطت معنوياتهم، وكانوا يفرون منه من الوهلة الأولى إلى أن قرر قائدهم "بوبريتز" أن يطلب مبارزة الشريف بومعزة، واستجاب هذا الأخير والتقى الجمعان في معركة حاسمة يوم ٠٣ أكتوبر ١٨٤٩ أصيب في بدايتها الشريف بومعزة برصاصة غادرة بين كتفيه أردته قتيلاً، وقد قطعت رأسه وعلقت في سوق سور الغزلان، وبعدها خمدت المقاومة إلى حين، وقد حاول رفيقه مولاي ابراهيم حمل مشعل هذه المقاومة لكنه لم يجد التأييد الكافي، وانهمز أتباعه أمام ابن علي الشريف الذي جندته فرنسا لحماية مراكزها بالمنطقة .